

ثمة حقيقة أخرى تتصل بعمل المرسلين إبان القرن الماضي علي الأقل , وهو أن إنجيل يسوع قد أنتج ثمرة طيبة هي ((الإصلاح الاجتماعي)) , ليس في بريطانيا وأمريكا فحسب , بل في أفريقية و آسيا أيضا . إلا أنه في فترة ما خلال العقود الثلاث الأولى من هذا القرن , ولا سيما العقد الذي أعقب الحرب العالمية الأولى حدثت نقلة رئيسية لا سيما بين المسيحيين الإنجلييين , دعاها المؤرخ الأمريكي تيموثي . ل. سميث ((الانقلاب العظيم)) . وقد بحث دكتور دافيد موبرج هذا الموضوع في كتابه الذي وضع له نفس العنوان . ومع أنه لم يكن يحاول أن يجري تحليلا شاملا لأسباب نبذ الإنجلييين للمسئولية الاجتماعية , إلا أنه يبدو أن هذه الأسباب تعود إلي :

أولا : ردة الفعل تجاه التحررية الإنجيلية التي غزت كنائس أوروبا وأمريكا في مطلع هذا القرن . و التي ولدت في الإنجلييين شعورا محبطا وهذا يفسر لنا سبب تركيز كل جهودهم في الدفاع عن الإنجيل والمناداة به , إذ بدا لهم , أنه ما من أحد غيرهم يدافع عن المسيحية الكتابية التاريخية . ولذلك نجد أنه في هذه الفترة (وبالتحديد 1910-1915 م) نشر في الولايات المتحدة أثني عشر كتابا صغيرا عنوانها (الأصول) ومنها أشتق مذهب ((الأصولية Fundamentalism)) أو العصمة الحرفية للكتاب المقدس . وهذا يبين كيف أنه عندما أنشغل الإنجلييون بحماية أصول الإيمان , شعروا بأنه لا وقت لديهم للاهتمام بمجال الخدمة الاجتماعية .

ثانيا : ردة فعل الإنجلييين تجاه ما دعي ((في الإنجيل الاجتماعي)) و الذي كان اللاهوتيون التحرريون إن ذلك بصدد تطويره , ومن أبرز المنادين به ((ولتر دوشنبوش)) , أستاذ تاريخ الكنيسة بكلية روتشستر اللاهوتية بنيويورك من عام 1897 – 1917 . وكان قد واجه الفقر الثقيل الوطأة إبان خدمته الرعوية المعمدانية في نيويورك سيتي (1886 – 1897) وهذه الخبرة حددت رسالته .

وفي كتابه الأول ((المسيحية والأزمة الاجتماعية)) (1907) , وبعد أن تتبع تاريخ التعاطف الاجتماعي لدي الأنبياء العبرانيين و يسوع و الكنيسة الأولى , انتقد الرأسمالية ودافع عن شكل عملي من ((الشيوعية)) أو الاشتراكية المسيحية . كذلك عقد مقارنة بين ((الإنجيل القديم)) الذي يهتم بالنفس المخلصة , وبين ((الإنجيل الحديث)) الذي يهتم بملكوت الله . فكتب يقول ((ليس المهم أن يدخل الناس من السماء , بل أن تتغير حياتهم في هذا العالم الحاضر وتصبح منسجمة مع السماء)) . وأن الغرض الجوهري من المسيحية هو تغير المجتمع البشري وتحويله إلي ملكوت الله , وذلك عن طريق تجديد العلاقات البشرية . وهذه الاقتباسات تظفي لكشف الخطأين الذين أرتكبهما وقادا الإنجلييين إلي إدانة الإنجيل الاجتماعي , ومن ثم أعاقوا تطوير برنامج اجتماعي أنجيلي . والخطأ الأول هو أنه أعتبر ملكوت الله مطابقا لإعادة بناء المجتمع علي أساس مسيحي , وثانيهم أنه أعتبر ضمنا إن بني البشر يستطيعون أن يوطدوا الملكوت الإلهي بأنفسهم (بينما تحدث يسوع دوما عن الملكوت باعتباره عطية الله) . ومع أنه قال بأنه يشجع أي وهم يوتوبي , فقد قال ((أن علي عاتقنا تقع مسئولية تقرير ما إذا كان سيشرق عصر جديد حين يتحول العالم إلي ملكوت الله .

يتضح من هذه اللغة غير المتحفظة أن كتاب ((المسيحية والأزمة الاجتماعية)) لم يكن عملاً لاهوتياً جاداً . وكذلك الحال بالنسبة لكتاب ((روشنبوش)) الثاني بعنوانه المضلل ((تعميم النظام الاجتماعي)) (1912) . إلا أن كتابه الثالث ((لاهوت الإنجيل الاجتماعي)) (1917) , فضح موقفه . فقد بدأ بهذه الكلمات الساذجة : ((أننا نملك أجيالاً اجتماعياً . ونحتاج إلى لاهوت نظامي علي قدر كاف من الاتساع ليتناغم معه , وقد كاف من المعاشية لكي يدعّمه)) . والواقع أن تعديل الفكر اللاهوتي والتوسع فيه , أمران ضروريان لتذويد الإنجيل الاجتماعي بأساس فكري كاف . وهكذا فقد أوقع روشنبوش نفسه في الخطأ . فأولا هل نصوص إنجيلنا الاجتماعي ومن ثم نبحت له عن تبرير فكري أو لاهوتي ! وهو يجد هذا التبرير في ملكوت الله . ((فهذا المعتقد في حد ذاته هو الإنجيل الاجتماعي)) . لأن ملكوت الله هو الإنسانية المتفقة مع إرادة الله . إن ملكوت الله هو التغيير المسيحي إلى النظام الاجتماعي .

لكن ملكوت الله ليس مجرد مجتمع معمد , بل أنه سيادة الله علي حياة أولئك اللذين يعترفون بالمسيح , ويجب أن ((يناله)) المرء , أو ((يدخل)) إليه أو ((يرثه)) حسبما قال المسيح , عن طريق الإيمان به , وهو يتصف بالتوبة والتواضع . ولا يمكن دون الولادة الجديدة رؤية هذا الملكوت ناهيك عن الدخول فيه . مهما يكن من أمر فإن الذين يقبلونه , كما يقبل الطفل هدية تقدم إليه , يجدون أنفسهم أعضاء في الجماعة الجديدة التي يملك عليها المسيا والتي يطلب منها أن تظهر مثاليات حكمه في العالم , وبذا يقدمون للعالم حقيقة اجتماعية بديلة . فهذا التحدي الاجتماعي لأنجيل الملكوت يختلف تماما عن ((الإنجيل الاجتماعي)) .

وعندما أضفي روشنبوش علي ملكوت الله صفة سياسية , كان رد فعل الإنجيليين عليه , وهو ما يمكن فهمه ويؤسف له , هو تركيزهم علي الكرازة وأعمال الرحمة الشخصية وابتعدوا عن النشاط الاجتماعي السياسي .

ثالثا : أما السبب الثالث الذي حمل الإنجيليين علي إهمال مسؤوليتهم الاجتماعية هو انهيار المثاليات وتغلب روح التشاؤم علي نطاق واسع عقب الحرب العالمية الأولى التي كشفت شر الإنسان . وباءت البرامج الاجتماعية المبكرة ومحاولات الإصلاح بالفشل الذريع وبدا الإنسان والمجتمع غير قابلين للإصلاح . والإنجيليون , وهم بلا شك , عارفون بالعقيدتين الكتابيتين : عقيدة الخطية الأصلية وعقيدة فساد الإنسان , ما كان لهم أن يندهبوا لهذا الفشل . بيد أنه لم يكن هناك في فترة ما بين الحربين , قائد أنجيلي , يستطيع أن يوضح العناية الإلهية ونعمة الله المتاحة للجميع كأساسين للمثابرة علي الرجاء . وهذا مما أخفي الوجه الحقيقي للمسيحية المصلحة .

رابعا : السبب الرابع يعود إلي انتشار تعليم الحكم الألفي الذي يصف العالم الحاضر بأنه شرير وغير قابل للإصلاح أو الفداء (وكان ج. ن. داربي من أبرز المناديين بهذا التعليم الذي أنتشر بشكل عام في طبعة سكوفيلد للكتاب المقدس) . بل وتنبأ بدلا من ذلك بتردي العالم بصورة مطردة إلي أن يجئ المسيح ثانية ليوطد ملكه الألفي علي الأرض .

والرد علي هذا الكلام يتلخص في أنه : إذا كان العالم سيتردى , وإذا كان إصلاحه لن يتم إلا بعودة المسيح , فلا جدوى , علي ما يبدو , من محاولة إصلاحه في الوقت الحاضر .

خامسا : إن سبب انعزال الإنجيليين عن الاهتمام الاجتماعي ربما يرجع إلي انتشار المسيحية بين أبناء الطبقة المتوسطة الذين أضعفوها بمحاولة توحيد المسيحية مع ثقافتهم . وهذا بلا شك أحد العوامل التي تشكل نتائج بحث اجتماعي أمريكي في التقرير الذي كتبه ملتون دوكتيتش عام 1969 , والتي لخصها دافيد . أ . مويرج , وهي نتائج تنقد بشدة الأثر السلبي للديانة النظامية . ومن أبرز ما جاء بالتقرير : ((إن كثيرين ممن يقدرون قيمة الخلاص جدا محافظون , يتمسكون بالوضع الراهن ولا يتعاطفون مع السود والقراء , ولا يباليون بمعاناتهم

ويقول دافيد موبرج إن هذا التقرير أثار عاصفة من الاحتجاج وخاصة فيما يتعلق بخطأ طريقة البحث التي أتبعته ، لكنه أضاف قائلاً : ((إن تجاهل هذه الاستنتاجات يشكل خطأ فادحاً . و علي الرغم من أنني سبق وذكرت بعض الأمثلة عن العمل الاجتماعي الرائع في القرنين 18 و 19 ، إلا أنه كانت هناك ثمة مواقف أخرى للكنيسة اتسمت بالإذعان للظلم و الاستغلال ، حيث لم تقم بأي إجراء ضد هذه الشرور ولا حتى بالاحتجاج عليها .

ويمكن تفسير ذلك ((الانقلاب العظيم)) استناداً إلي الأسباب الخمسة التي ذكرناها . ومع ذلك ، فأنا لا نلوم أسلافنا الإنجلييين . فلو كنا مكانهم فلربما كان رد فعلنا علي ما واجهوه من ضغوط كرد فعلهم . ومع ذلك ، فإنه في مطلع هذا القرن وفترة ما بين الحربين أحتفظ البعض بضمير مسيحي متيقظ . فإلي جانب انخراطهم في الخدمة الكرازية ، انخرطوا أيضاً في الخدمة الاجتماعية . وبهذا أدوا رسالة الإنجيل كاملة وبشقيها ، ودون ذلك ، تفقد الحركة الكرازية جزءاً من اصالتها . غير أن الأكثرية رجعت إلي الوراء . ثم في الستينات ، فترة الاحتجاج في هذا القرن ، حين تمرد الشباب علي مال وراثه من عالم البالغين من مادية و سطحية و رياء . أسترد التيار الإنجيلي الرئيسي معنوياته و انطلقت عملية ((عكس الانقلاب العظيم)) (وهو العنوان الذي وضعه دافيد موبرج للفصل الأخير من كتابه) .

وأحسب أن أول من دعا الإنجلييين للعودة إلي مسؤولياتهم الاجتماعية هو الباحثة المسيحي الأمريكي ((كارل ف. هـنري)) . وهو رئيس التحرير المؤسس لمجلة ((المسيحية اليوم)) وذلك في كتابه ((الضمير المرتبك للعصمة الحرفية المعاصرة (1947))) . ويبدو أن الذين أصغوا لندائه كانوا قلة . ولكن رسالته بدأت تشق طريقها شيئاً فشيئاً . وفي ختام المؤتمر الأمريكي ((حول الإرساليات في العالم)) عام 1966 تبنى المشتركون بالإجماع ((بيان هوبتون)) الذي أكد بشدة علي ضرورة الربط بين ((أولوية الكرازة بالإنجيل للخليفة كلها)) و ((الشهادة الفعلية ليسوع المسيح)) ، وبين ((نشاط اجتماعي إنجيلي)) ، وألح علي ضرورة أن يقف ((كل الإنجلييين)) بثبات ، مدافعين بصراحة عن المساواة العرقية و الحرية السياسية . و المناداة بجميع أشكال العدالة الاجتماعية في العالم .

وفي مطلع الستينات ، بدأ عدد من القادة الإنجلييين في بريطانيا (وكان معظمهم من العلمانيين التجار وذوي المهن الحرة) يهتمون بالتطبيق الاجتماعي للإنجيل ، كان من أبرزهم الأستاذ نورمن أندرسون . ومن مظاهر هذا الاهتمام صدور كتاب ((الشركة المسؤولة)) لجورج جويدر عام 1961 ، وكذلك كتاب ((المسيحي في مجتمع صناعي)) عام 1964 لمؤلفه فرد كاتر وود . وهذا النمو التلقائي للاهتمام الاجتماعي ثم التعبير عنه علناً في أول مؤتمر وطني إنجيلي للكنيسة الانجيلكانية والذي عقد في جامعة كيل Keel عام 1967 . في هذا المؤتمر أعلن الإنجلييون الانجليكان إقلاعهم عن الانسحاب من الأمور العالمية الدنيوية ومن الكنيسة بمفهومها الأوسع والتزموا بالخدمة في هاتين الناحيتين معا وفق ما يمليه ضميرهم . أما مهمة الإرسالية ، بحسب ما توصلوا إليه ، فيجب أن تكون من شقين متلازمين ((الكرازة بالإنجيل)) وأعمال البر و الرحمة بالفقراء و المساكين .

أما نقطة التحول التي أتفق فيها علي اتجاه الإنجلييين قاطبة نحو العالم علي أتساعه فتمثل بلا شك في المؤتمر الدولي حول الكرازة للعالم كله والذي عقد في لوزان بسويسرا في يولييه عام 1974 . وقد حضره 2700 عضواً يمثلون أكثر من 150 أمة تحت شعار ((لتسمع الأرض صوته)) وقد وقعوا جميعاً في ختام المؤتمر علي ميثاق لوزان . وقد تضمن هذا الميثاق ثلاثة أقسام تمهيدية تتعلق بقصد الله وسلطة الكتاب المقدس ، وتفرد المسيح ، وبعدها ورد عنوان القسم الرابع وهو ((طبيعة الكرازة)) أما القسم الخامس فكان عن ((المسؤولية

ولقد ساد الحركة الإنجيلية قدر من التوتر خلال السنوات التي أعقبت مؤتمر لوزان . لأنه في حين شدد البعض علي الكرازة . فقد شدد الآخرون علي النشاط الاجتماعي . وتساءل الجميع عن السبيل إلي توضيح العلاقة بينهما وفق تعاليم الكتاب المقدس . ومن ثم فق عقد في شهر حزيران (يونيه) 1982 (مؤتمر حول العلاقة بين الكرازة والمسئولية الاجتماعية) . وذلك في مدينة جراند رابيدس . وأصدر هذا المؤتمر تقريره تحت عنوان ((الكرازة والمسئولية الاجتماعية يشكلان التزاما إنجيليا)) . ومع أننا بالطبع لم نتفق اتفاقا تاما , إلا أن الرب قادنا للتوصل إلي درجة للتوصل إلي درجة رائعة من الإجماع . وأعلن أن النشاط الاجتماعي ما هو إلا نتيجة للكرازة وجسر لها . وأنهما صنوان لا يفترقان . كما نهما متحدان بواسطة الإنجيل . ((لأن الإنجيل هو الأصل وفرعاه هما الكرازة والمسئولية الاجتماعية)) . وعلاوة علي ذلك تضمن التقرير فصلا عن ((التاريخ و الإيمان بالآخرويات)) , وفصلا آخر يركز علي النواحي العملية عنوانه : ((خطوط عريضة للعمل)) .